

«المسافرون الإنجليز» رواية تعري التاريخ الاستعماري

للإنساني العابر للجغرافيات، وتناق فكريا نقديا وجمالا يرقن إلى شغف البشر الأصيل بالحب والمعرفة والعدالة.

الرواية تسرد أحداثها 20 شخصية مختلفة وتحكي قصة رحلة للبحث عن جنّة عدن في أستراليا وانحدار سكانها الأصليين السريع

صدرت تلك الرواية بالإنجليزية عام 2000، وقد فازت بجائزة Whitbread Book لهذا العام وتم ترشيحها لجائزة Booker Award وجائزة Miles Franklin Award. الرواية تسرد أحداثها 20 شخصية مختلفة وتحكي قصة رحلة للبحث عن جنّة عدن في تسمانيا (في أستراليا) والاندثار السريع لسكانها الأصليين. ويذكر أن ماثيو نيل هو كاتب وروائي بريطاني من مواليد لندن 1960، درس التاريخ الحديث في جامعة أكسفورد وتخرج عام 1982 واستحوذت أعماله على اهتمام نقدي واسع حول العالم، باعتباره واحدا من أهم كتّاب الرواية التاريخية المعاصرين في بريطانيا حيث تعبر رواياته عن رؤية نقدية للتاريخ، وهو يقيم ويعمل في روما منذ عام 2000.

الكويت - صدر الجزء الثاني من الترجمة العربية لرواية «المسافرون الإنجليز» للكاتب ماثيو نيل، في سلسلة «إبداعات عالمية» التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

وقد أنجز الترجمة علي محمد سليمان وقام بمراجعتها علي العززي، وفي هذا الجزء من الرواية، تتابع سفينة المسافرين الإنجليز رحلتها الطويلة عبر المحيطات والقارات نحو الفردوس المفقود في إحدى جزر أستراليا لتفاجئ القارئ - قبل أبطالها - بحقيقة ذلك الفردوس.

وتكتشف الرحلة في عمق الإنسان عن الأزمة الأخلاقية المروعة للفكر الاستعماري، وإن ترفع السفينة أشرعتها في طريق العودة تأخذنا مرة أخرى في مغامرة فريدة تكمل رحلة المعرفة إلى نهاياتها المفتوحة على سخرية مريرة تمنع في تعرية التاريخ وتدعو القارئ إلى فرجة من نوع خاص، فرجة تسقط فيها كل الأتعة فلا يبقى أمام القارئ سوى أن يكون ذلك الطفل الذي يفضح الجميع ويصرخ: إنه عار، الملك عار.

وتتحطم السفينة وتغرق على صخور شواطئ إنجلترا، لكن الحكايات تنجو ويستمر السرد في رسم المصائر الدامية والمضحكة في الوقت ذاته. تتسج الرواية من الأحلام واللغات الضائعة لوحة غنية تتدفق عاطفة تتحاز

العراق فضاء سردي في الرواية الأجنبية

النظرة الاستشرافية الدونية لا تزال تلاحق العراقيين



صورة قاتمة قدمها الغربيون للعراق (لوحة للفنان سيروان باران)

بعد حصولها على عمل تدريسي في أحد المعاهد العراقية. وتحدثت الرسائل، التي يعثر عليها رئيس تحرير صحيفة تشيلية في أحد أدراج مكتبه ويسلمها إلى خوسيه ميغيل بارسا، عن بغداد والعراق ومغامرات الرسم ووصفه الأماكن والحوادث السياسية خلال عهد الزعيم عبد الكريم قاسم، وعشية انقلاب 8 فبراير 1963 الذي اسقط حكمه.

وقد نسج بارسا حبكة الرواية في ثلاثة خطوط، تدور أحداثها بين سانتياغو وبرلين وبراق وبغداد، معتمدا تقنية الحوار والجدل بين خط وآخر، وأسلوب مغل في السخرية يجعل القارئ يفقهه، كتعويض ضروري عن ردة الفعل العصبية التي يستلزمها الموقف، كما يرى الروائي كريم كطافة، رغم هذه السخرية تطال أمورا حميمة في بعض العادات والتقاليد العراقية.

هذا من جانب، ومن جانب آخر جاء تناول الرواية لتفاصيل الحياة الاجتماعية والثقافية والمعيشية في بغداد الستينات مخبيا للألم، لأن الكاتب يصف المدينة وكأنها مدينة صحراوية في القرن التاسع عشر.

روايات ما بعد الاحتلال

تحكي رواية «الهديقة الخربة» لخورخي فولبي، عبر مسارين سرديين متوازيين قصتين مختلفتين جدا، تتداخل فيهما أحداث العراق بعد الاحتلال الأمريكي مع أحداث المغف الذي عاشه الروائي قبل عودته إلى المكسيك، راثيا حال البلدين معا، من خلال المقارنة بين أوضاعهما المتدهورة، وكيف أن نمّة أصابات تفقت بالبشر والمدن، وتجلت الكره شعارها اليومي كأنه قودها ومحركها، كما يقول الناقد هيثم حسين في قراءته للرواية.

يتعلم المسار السردى الأول بقصة المرأة الشابة ليلى، وهي ابنة طبيب من الموصل، تزوجت من مهندس شاب وأنجبت منه طفلة، ثم أتت الحرب وقضت على حياتها وأحلامها وأسرتها وشردتها. ومثلها تعرض أهل الزوج إلى الإرهاب المتقني والمقعن بشعارات عديدة. ويتمثل المسار الثاني بشخصية الراوي المكسيكي، الذي يشبه الكاتب الحقيقي، وهو يربط في تنقله المتخيل بين العراق والمكسيك، بين حياته ومسيره ومصيره وحياة ليلى وماضيها ومصيرها، ويصف حالتها وهي متخنة

ينجذب الأدب في العادة إلى الأماكن الثرية بتاريخها وحكاياتها حيث يمكن أن يخلق على أرضها شخصيات وأحداثا متنوعة ومتداخلة وحمالة أفكار. ولعب العراق بإرثه التاريخي الكبير وبواقعه المتحرك والمزدحم بالصراعات أكثر الأمكنة العربية إغراء للروائيين الغربيين للكتابة عنه، وهو ما يؤكد عدد هام من الأعمال الروائية التي كان العراق وتحديدا بغداد مسرحا لها.

تعدّ رواية أغاثا كريستي «جريمة في ميزوبوتاميا»، الصادرة عام 1936، والترجمة إلى العربية بعنوان «جريمة العراق»، بكر الروايات الأجنبية التي تجري أحداثها في العراق، ترويها ممرضة اسمها امي لذنن قدمت إلى بغداد صحبة امرأة إنجليزية. وبعد انتهاء مهمتها بقيت لتعنتى سيدة إنجليزية أخرى هي لويز زوجة عالم الآثار السويدي الدكتور إريك ليندر، الذي جاء للإشراف على عمليات التنقيب الأثرية التي تقوم بها بعثة من جامعة بتستاون في موقع مدينة آشورية كبيرة اسمه «تل بارمجه».

وقد عرفت الممرضة، بعد لقائها بلويز، أنها تزوجت الدكتور ليندر منذ عامين فقط، وكانت قد تزوجت قبل 15 سنة بالمانى كان يعمل لحساب الأميركيان، لكنه كان في الحقيقة جاسوسا لحساب المانيا. ولم يدم زواجهما طويلا، فقد ألقى القبض على زوجها وحكم عليه بالإعدام، إلا أنه تمكن من الهرب خلال حادث اصطدام القطار الذي كان ينقله، في حين اعتقد المحققون أنه قتل في الحادث. وبعد أسبوع من وصول الممرضة وجد الدكتور ليندر زوجته ميتة في غرفتها. وإثر استجواب المحقق البلجيكي هرقل بواروت جميع الحاضرين توصل إلى أن لويز ليندر ومس جونسن قتلتهما الدكتور ليندر، الذي هو في الحقيقة زوج لويز الأول الألماني، ولم يقتل في حادث اصطدام القطار، بل وجد بين الضحايا جثمان عالم آثار سويدي هو إريك ليندر، وأخذ بطاقة هويته. وبعد أن مرّت 15 سنة، ادعى أنه عالم الآثار وتزوج من جديد بزوجته الأولى التي لم تتعرف عليه، لكنه اكتشف أنها تحب زميله كاري، فقرر قتلها.

روايات ما قبل الاحتلال

تقوم رواية «بريد بغداد»، التي ترجمها عن الإسبانية صالح علماني، على مجموعة رسائل متبادلة بين رسام تشيلي مميّن اسمه هويركيو، قتل أو اختفت آثاره في القاهرة، وبين عم زوجته البروفيسور البلجيكي في الأدب، الذي يعيش على مقربة من براغ. تزوج الرسام من إيفا بيفانوا ابنة اخ البروفيسور عندما كان طالبا في تشيكوسلوفاكيا، وصحبها إلى بغداد

عواد علي
كاتب عراقي

اتخذ العديد من كتّاب الرواية، في أوروبا والأمريكيتين الشمالية والجنوبية، العراق فضاء سرديا تدور فيه أحداث بعض رواياتهم. وقد ركز أغلبهم على العراق المعاصر، وخاصة على فترة الغزو الأميركي له عام 2003 وما شهدته من ماس ودماء ورعب، وما تلاه من فضائح الإرهاب والقهر والاعتقال والنزوح والهجرة.

الكثير من الروايات عن العراق وقعت في فخ استنساخ النظرة الاستشرافية النمطية وهي تتناول حياة العراقيين

ونهب بعضهم إلى عصور قديمة؛ العباسي تحديدا، ودمج بعضهم الآخرين الحاضر وحكايات من الماضي. وثمة من اعتمد الخيال العلمي في رؤية كابوسية لمستقبل البلد. وتوزعت شخصيات هذه الروايات على عراقيين وياحثين ومغامرين أجنب وجنود الاحتلال. من بين هذه الروايات، التي ترجم بعضها إلى العربية، «جريمة في العراق» و«جاؤوا إلى بغداد» لأغاثا كريستي، «الهديقة الخربة» للمكسيكي خورخي فولبي، «بريد بغداد» للتشيلي خوسيه ميغيل بارسا، «أوليس البغدادي» للفرنسي - النرويجي إيريك مانويل شميت، «مرأة الخليفة» للبريطاني أندرو كيليان، وأربع روايات لكاتب أميركيين هي «الطيور الصفراء» لكيفن باورز، «دماء شابة» مات جالاجر، «إباحية الحرب» لروي سكرانتون، و«التخصص» لستيفن بريسفيلد.

لكن من المؤسف أن هذا الموضوع لم يبل الإهتمام الذي يستحقه من طرف الدارسين والنقاد العراقيين، فلم أقع خلال بحثي إلا على دراسة أكاديمية واحدة بعنوان «العراق في الرواية الغربية الحديثة: أنجلنسيا والتحرر وسوسيولوجيا القيود» للباحث مسار غازي شناوة، بيد أن نصها غير متوفر في شبكة الإنترنت، لذا لم أتمكن من الاطلاع عليها. في حين كتبت مقالات عديدة قرأ فيها أصحابها هذه الروايات فردا.

«اللؤلؤة والبحر» دراسة لأشعار علي عبدالله خليفة

علاوة على نقد النصوص توقف الكتاب عند أهم محطات الشاعر الإنسانية التي ساهمت في بناء الصورة الشعرية لديه

الصالمة - أصدرت دار النشر لارتمان، وهي إحدى كبريات دور النشر الفرنسية، كتاب «اللؤلؤة والبحر: دراسة تحليلية لأشعار الشاعر علي عبدالله خليفة»، للأكاديمية وجدان الصائغ. وقدمت الباحثة في هذا العمل، الذي يقع في 118 صفحة، بانوراما لدواوين الشاعر، مُمثلة أهمّ الثيمات التي عمق فيها الشاعر تجاربه في الكتابة، ولاسيما في ما يتعلق بعلاقة نصوصه بالموروث الثقافي الخليجي بشكل عام، والبحريني بشكل خاص.

وقد انطلقت الصائغ من الحقول الدلالية لقصائد الشاعر حيث تقول «كيف تستطيع الكلمات أن تقدم شاعرا بهذا القدر من العمق والوعي بالموروث الثقافي كبنية تحتية ثقافية للفرد العربي، ولمخيلاته الجمعي في سجل بشري حافل بالمغفريات والآمال والألام، وهو يصور بشكل عفوي تفاصيل الحياة اليومية مستنكفا دواخل تلك الهوم المؤرقة لإنسان يحلم بحياة آمنة مطمئنة».

وللغوص في بستان علي خليفة الشعري، نقف الباحثة عند محطات إنسانية منيرة تساهم عادة في كبرياء الشعر العربي وفي بناء الصورة الشعرية المبتكرة التي تعطي إضاءة حول الوعي الحي للشاعر، ومإذا أضاف من ابتكارات بكل وعي للمكتبة الشعرية العربية. تجدر الإشارة إلى أن الكاتبة ناقشت

بجراحها، ناهية في الصحراء، تحيط بها الأشباح والضباب من كل صوب، في ترميز واضح إلى العراق نفسه. ويستعير فولبي، في سرده لقصة ليلي، حكاية الصياد مع العفريت من حكايات ألف ليلة وليلة، حيث يرافق الجنّي ليلي في هذيانها، ويشكل انعكاسا للمرارة والقسوة، وخدعة الذات لتعاسي الأمها، واختراق خيالات تعينها على عبور متاهة الحرب ومستنقع القتل والعنف، أو يكون «تشيح الحرب» مثلما يصفه.

يلعب فولبي في هذه الرواية، حسب رأي الروائية عبير إسبر، «بعيدا عن الإرث السردى لأدب أميركا اللاتينية، مازجا بين روحية الشرق في عمقها الأكثر حضورا (العراق) وعمق المأساة المكسيكية، بكارتيلاها، حزما، يدمقرطبتها المتعثرة، أبينتها المتمايزة في فوضاها، نظامها السياسي المرغ بالكوكابين، وجئت تسقط في الطرقات من دون صاحب أو مطالب بغار للأرواح المهودرة».

يسجل كيف باورز، في روايته الأولى «الطيور الصفراء»، أحداثا ووقائع يومية عاشها شخصا أثناء خدمته العسكرية ضمن قوات الاحتلال في مدينة «تلعفر» بمحافظة نينوى خلال الأعوام 2004-2005، لكن الرواية ليست تسجيلية بالكامل، ولا سيرة ذاتية طبق الأصل، بل إنها عمل سردي يمزج بين أحداث وشخصيات متخيلة وشخصيات وأحداث حقيقية عاشها المؤلف.

يسلط الكاتب الضوء على صدمة ما بعد الحرب التي أصابت كثيرا من الجنود الأميركيين، عبر حكاية الجندي جون بارتل، العائد من العراق بعد شهر عديد أمضاها هناك، ليدرك من خلال ما عاشه من أحداث، أن للموت لونا، وأن ما كان يحارب من أجله ليس إلا وهما كبيرا، وكيف تحول الحرب الجندي الوديع المسالم إلى وحش قاتل، ويسعى، بعد فقداؤه لصديقه ميرفي، الاضفر منه سنا، والذي يتبعه مياها ندجة، إلى التخلص من كوابيسه، واستعادة إنسانيته وأحاسيسه التي فقدتها في الحرب.

وقد كتف المخرج الفرنسي ألكسندر مورس هذه الرواية في فيلم يحمل العنوان نفسه، استخدم فيه تقنية السرد المقلوب، أو الاستعادي، بأن يبدأ من النهاية ثم يخوض في تفاصيل القصة التي يحملها الجنود في عقولهم، وتروي بشاعة الحرب، وخيالاتها وشيئا من الصدمة في ما بعدها.



شاعر بحريني مبتكر